
فى
التنوير الإسلامى
« ١٣ »
الحركات الإسلامية
رؤية نقدية
تأليف
د. محمد عمارة
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨
Bibliotheca Alexandrina
0104704

في التنوير الإسلامي ١٣

الحركات الإسلامية

رؤية نقدية

تأليف

د. محمد عمارة





اسم السلسلة: فى التنوير الإسلامى.
اسم الكتاب: الحركات الإسلامية رؤية نقدية.
تأليف: دكتور / محمد عمارة.
تاريخ النشر: مارس ١٩٩٨.
رقم الإيداع: ١٩٩٧/٢٧٧٠.
الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0594 - 2
الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١.
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١.
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة.
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢.
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٠٢.
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢ فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ / ٠٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كاتب هذه الصفحات ، وإن لم يكن في يوم من الأيام قد انتسب إلى عضوية تنظيم من تنظيمات الحركات الإسلامية . . إلا أنه ليس غريبا عن أن يكتب في هذا الموضوع . . موضوع «الحركات الإسلامية : نظرة مستقبلية» . . وعلى الأقل من خلال الزاوية الجزئية - النقدية - التي اختار أن يفرد لها هذه الصفحات . .

● فبحكم التكوين الفكرى الموروث ، الذى اتخذه سبيلا للتعلم وللعلم : الدراسة فى الأزهر ودار العلوم . . وبحكم التخصص الأكاديمى فى العلوم الإسلامية . . والتفرغ لقضايا الفكر الإسلامى . . كان الاهتمام بالحركات الإسلامية شاغلا أصيلا من شواغل كاتب هذه الصفحات - حتى فى حقبة من تاريخه السياسى والفكرى كان فيها رافضا لطريق هذه الحركات - فبحكم العلائق . . وبحكم هذا الرفض أيضا ، كانت هذه الحركات فى بؤرة الاهتمامات . .

● ولقد زادت هذه الاهتمامات ، فبلغت مستوى المتابعة للكثير من أدبيات الحركات الإسلامية ، ومواقفها ، وأنشطتها ، وللمد والجزر اللذين تناوبا على العديد من فصائلها . . زادت هذه الاهتمامات فى الثلث قرن الأخير . . وذلك منذ أن استخلص كاتب هذه الصفحات عقله ووجدانه وإسهاماته الفكرية لقضية

البعث الإسلامى ، جنديا من جنود الفكر الذين يجتهدون لتجديد دنيا المسلمين بتجديد الفكر الإسلامى . .

● ولقد تجسدت حصيلة هذه الزيادة من الاهتمام بفكر وأنشطة الحركات الإسلامية المعاصرة فى عديد من الكتب والفصول والدراسات التى قدمها كاتب هذه الصفحات إلى المكتبة الإسلامية . .

فبعد دراسة الأصول التاريخية والجذور التراثية فى كتاب (تيارات الفكر الإسلامى) كانت الدراسة لـ (تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة) . . ثم جاءت الدراسات التى أنجزتها عن الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م) أو جماعة الإخوان المسلمين . . وعن أبى الأعلى المودودى (١٣٢١ - ١٣٩٩هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩م) والجماعة الإسلامية . .

وعن سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ ١٩٠٦ - ١٩٦٦م) وتيار الرفض والغضب الإسلامى . . . وعن جماعة الجهاد والفريضة الغائبة . . .

وبعد إنجاز هذه الأعمال الفكرية ، زادت اهتمامات كاتب هذه الصفحات بأدبيات فصائل تيار الرفض والغضب الإسلامى ، فأخذ يجمع هذه الأدبيات ، على أمل أن يفرد لفكر هذا التيار عملا يفى بدراسته دراسة موضوعية ، إن شاء الله . . .

إذن . . . فكاتب هذه الصفحات ، وإن لم يكن عضوا فى أى تنظيم من تنظيمات الحركات الإسلامية المعاصرة ، إلا أنه يرجو أن تكون لديه مؤهلات الحديث فى هذا الموضوع . .

***

وإضافة إلى ما تقدم - وهى إضافة بالغة الأهمية فى هذا المقام - فإن الاهتمام بفكر ونشاط الحركات الإسلامية المعاصرة ، ليس لمجرد الدراسة التى تستهدف أن تصدر فى كتاب أو عدد من الكتب والأبحاث . . وإنما هى اهتمامات مجاهد - سلاحه الفكر - بإخوة المعركة الواحدة ، ورفاق الخندق النضالى الواحد ، الذى نجاهد منه جميعا لبعث هذه الأمة وانتزاع استقلالها السليب ، وتحقيق نهضتها بالإسلام . . فهو ليس اهتمام «الأكاديمية - الحِرَفِيَّة» ، وإنما هو اهتمام العضو الذى يمتلك ، بالفكر ، أعلى مستويات الحساسية ، بسائر أعضاء الجسد . . جسد الطلائع التى تقف على أرض معسكر البعث الإسلامى الجديد . .

فهذه الحركات الإسلامية المعاصرة ، بالنسبة لى ، ليست مجرد «مادة» للدراسة . . وإنما هى :

● الأمل الإسلامى ، المرشح والمؤهل لقيادة النهضة الإسلامية المنشودة لهذه الأمة ، والتى نأمل أن تحقق لها الاستقلال الحقيقى . والتقدم الحقيقى . . والقوة العادلة . . لتعود هذه الأمة ، ثانية ، إلى صدارة الدنيا وإمامة العالم ، تسهم إسهامها الطبيعى والمتميز فى ترشيد مسيرة البشرية جمعاء . .

● وهى المالكة الوحيدة «للشوكة الفكرية» ، أى للفكر القادر وحده ، ودون سواه ، على تحريك جماهير الأمة ، وحشدها لتنتمى إلى الذات ، ولتدفع العدوان عن هذه الذات ، ولتحقق المشروع الحضارى الذى تتحقق به وتزدهر هذه الذات . . ذات الأمة الإسلامية . . إنها المالكة لهذه «الشوكة الفكرية» ، لوقوفها ، إجمالا ، على أرض الهوية الحضارية الإسلامية . . ومن ثم فإنها

المالكة لزمام حركة وتحريك الجماهير الإسلامية ، مادة وأداة التغيير . . وصاحبة المصلحة الأولى فى التغيير الإسلامى المنشود . . ولذلك كان وسيظل الانعطاف الجماهيرى الكبير وتعاطفها المتنامى نحو هذه الحركات . .

● وهذه الحركات الإسلامية هى الناهضة بالفريضة الإسلامية الكفائية ، والمحققة للواجب الشرعى الاجتماعى . . فريضة وواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . والتواصى بالحق والتواصى بالصبر على تبعات ومشاق طريق الحق . . أى أنها الطلائع الإسلامية ، التى تنهض بهذه الفريضة ، نيابة عن العامة والجمهور ، مستعينة بهؤلاء العامة وهذا الجمهور . .

● وهذه الحركات الإسلامية هى الوعاء التنظيمى الذى يستوعب الطاقات الإسلامية النشطة والفاعلة ، فيوظفها فى المكان المناسب والنافع ، منقذا لها من التردى فى أوعية تيارات العلمانية والتغرب والاستلاب الحضارى والمروق والإلحاد والانحلال واللامبالاة . . إنها العاصم لشباب الأمة – مادة المستقبل وعدته – من التواكلية والانحلال ، ومن السقوط فى المستنقعات التى تمد التنظيمات العلمانية بالمدد الجديد والدم الجديد . .

● إنها نحن . ونحن منها . . وبها . . ومعها . . نقف معا وجميعا فى ذات الساحة ، وبذات المعسكر ، ونجاهد متكاتفين من ذات الخندق . . حتى وإن اختلفنا وخالفنا بعض فصائل هذه الحركات الإسلامية المعاصرة فى بعض من الرؤى وعدد من السبل والبدائل والتصورات . .

هذا عن علاقة كاتب هذه الصفحات بالحركات الإسلامية المعاصرة . . وعن مكانه منها ، ومكانتها لديه . .

***

ولذلك . . . فإن النقد الذى تجتهد هذه الصفحات لتتلمس بعضا من جوانبه ، هو جزء من أداء كاتب هذه الصفحات لفريضة النصح والتناصح الإسلامية . . تلك الفريضة الكفائية ، والواجب الشرعى الاجتماعى ، الذى افترضه الله علينا تجاه هذه الحركات . . وهى تتعين على أهل الاختصاص والإمكانات ، استهدافا لتقويم المسيرة ، وترشيد المسعى ، ضمانا لبلوغ الأهداف . . فـ «الدين النصيحة ، لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم .» - رواه البخارى ومسلم ـ . . وهذه الحركات الإسلامية المعاصرة هى فى موقع «الإمامة» السياسية والاجتماعية والفكرية - شعبيا وجماهيريا - بالنسبة لأمة الإسلام وعامة المسلمين . .

ولأن هذا هو حال كاتب هذه الانتقادات لبعض من فصائل الحركات الإسلامية المعاصرة ، كان معيار هذا النقد ، الذى يحتكم إلى مقاييسه وضوابطه ، هو معيار المنهج الإسلامى ، وخصيصة النظرة الإسلامية : الوسطية الإسلامية الجامعة ، التى هى : عدل بين ظلمين ، وحق بين باطلين ، واعتدال بين تطرفين ، وتوازن وموازنة ينفيان الخلل والاختلال ، ويضمنان النظرة الشاملة التى تبدأ من انحياز وتطرف وانغلاق النظرة الوحيدة الجانب ، التى لا ترى فى الظاهرة إلا أحد قطبيها ، والتى تعجز عن الجمع والتأليف بين عناصر الحق ومكوناته دونما ميل أو هوى أو انحراف . . وصدق

الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ - [البقرة : ١٤٣] - . . وصدق رسوله الكريم ، ﷺ ، إذ يقول : «الوسط : العدل . جعلناكم أمة وسطا .» - رواه الإمام أحمد - . .

فمواطن «الخلل» ، التى تتلمسها وتنتقدها هذه السطور ، هى المواطن التى غابت فيها عن بعض الحركات الإسلامية المعاصرة موازين الوسطية الإسلامية الجامعة ، سواء أكان ذلك فى «الفكر» أو «الممارسة» لدى هذه الحركات . .

أما مواطن «الخلل» هذه . . فإننا نتخير منها نماذج ، هى - على سبيل المثال - :

***

١ـ الخلل فى فهم «التعددية»..

وفى الإيمان بجدواها:

إن الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة . . ولا نبالغ إذا قلنا أكثريتها . . إنما تقف من مبدأ «التعددية» سواء فى الرؤى الفكرية أو فى الأوعية التنظيمية والتنظيمات الحركية ، موقف الرفض العدائى ، أو الريبة الشديدة ، أو الشك فى شرعيتها أو فى ضرورتها وجدواها .

وهذا الرفض لهذه «التعددية» ، ليس نابعا من مجرد الرغبة فى الانفراد بالفعل وبالقرار وبالجماهير فى الساحة الإسلامية - وهى رغبة مفهومة ومقبولة - وإنما هو رفض نابع من خلل جعل هذه الحركات لا تميز بين الأصول والمبادئ والقواعد الإسلامية التى لا يجوز فيها الاختلاف ، والتى هى ، لخطرها وكليتها وثباتها ، الضامنة لوحدة الأمة ، فى العقيدة والشريعة والروح الحضارية . الخلل فى التمييز بين هذه الأصول الجامعة ، وبين الفروع والجزئيات والسبل والوسائل المتعلقة بالمتغيرات - والمتغيرات الدنيوية على وجه الخصوص - وهى التى لا تضر فيها تعددية الرؤى والمناهج ، وتعددية الدعوات والتنظيمات . . بل ربما تكون هذه التعددية فى هذا النطاق ، مصدرا للثراء الفكرى ، ودافعا على

تحريك العقل نحو الاجتهاد والإبداع ، ومنبها على الأخطاء والانحرافات ، ومرايا يرى فيها الجميع العيوب والأمراض ، فيسرعون إلى علاجها والخلاص من مضاعفاتها . .

لقد سن لنا تاريخ الفكر الإسلامى ، منذ عصر الصدر الأول ، سنة حسنة ، اهتدى فيها بمنهج الوسطية الإسلامية ، وذلك عندما علّمنا أنه لا اجتهاد فى الأصول والمبادئ والقواعد التى بنى عليها الإسلام ، اللهم إلا الاجتهاد فى الفهم والتقعيد وإلحاق الفروع بالأصول . . فهذه هى مساحة وإطار وحدة الأمة ، التى يمتنع فيها الاختلاف ، ومن ثم تمتنع التعددية . . أما فى الفروع التى تقام أبنيتها على هذه القواعد ، فهنا يصح ، بل ويجب الاجتهاد . وإذا كانت هذه السنة الإسلامية الحسنة قد علمتنا أن اجتهاد المجتهد غير ملزم للمجتهد الآخر ، وأن لكل مجتهد مقلدون يسترشدون باجتهاداته . . فإن هذه السنة الإسلامية هى بعينها الإعلان الإسلامى عن شرعية ومشروعية التعددية الإسلامية فى هذه المساحات من الفكر وتطبيقاته ، وفى الأدوات اللازمة لذلك ، ومنها التنظيمات . .

تلك هى سنة الإسلام التى شرعت وقننت لمبدأ التعددية فى الفكر الإسلامى وفى الممارسات الإسلامية منذ صدر الإسلام ، والتى بناء عليها ، وتطبيقا لنهجها كانت تيارات الاجتهاد الإسلامى مصدرا لثراء الفكر الإسلامى على عهد الازدهار الحضارى ، الذى سبق عصر التراجع والجمود . .

وغيبة هذه السنة الإسلامية الحسنة ، والمتميزة ، عن وعى أغلب الحركات الإسلامية المعاصرة ، هى فى تقديرى ، المصدر الأول فى

هذا «الخلل» الذى جعلها ويجعلها تتخذ من التعددية ذلك الموقف المتراوح ما بين التحريم والعداء والرفض والارتياب والنفور ! . .

وإذا كانت الرؤية الصحيحة والواعية - نسبيا - لهذه القضية ، قد عصمت بعضا من الحركات الإسلامية المعاصرة من هذا العداء للتعددية - كما هو الحال فى السودان وتونس مثلا - . . فإن للإخوان المسلمين ، بمصر تجربة فى «التعايش» مع «الجمعية الشرعية» ، وهى إن لم تنبع من الإيمان بالتعددية ، على النحو الذى نتحدث عنه ، إلا أنها تستحق الدراسة ، كنموذج لأفق يرى اتساع العمل الإسلامى لتعددية فى الحركات ، التى تركز كل منها على ميدان لا يكون موطن التركيز لدى الأخرى . إنها نماذج إيجابية ، لكنها تظل جزئية ، كما تظل الاستثناء الذى يؤكد سيادة قاعدة «الخلل» الذى أصاب ويصيب موقف الحركات الإسلامية المعاصرة فى هذا المقام . . مقام «التعددية» فى الرؤى وفى التنظيم . . وحظه من «الإسلامية» ، ومن «الضرورة» فى واقع العصر الذى نعيش فيه . .[1]

(١) فى السنوات الأخيرة ، حدثت تطورات إيجابية فى فكر وممارسات عدد من الحركات الإسلامية ـ وخاصة «الإخوان» بمصر والأردن واليمن ـ من قضية التعددية .

٢ـ الخلل فى علاقة «الذات» بـ «الآخر»

لو أن «الواقع» فى ديار الإسلام قد ظل «إسلاميا خالصا» ، يسود فيه منهج النبوة على النحو الذى حدث فى الصدر الأول للإسلام ، لما دعت الدواعى إلى قيام «الحركات الإسلامية» . . لكن هذا التمنى هو مما تأباه سنة الله فى تطور المجتمعات ، كل المجتمعات . .

وفى حال «الواقع» الإسلامى ، فإن الفتوحات الجديدة قد أدخلت إلى الأمة والدولة والفكر «آخر» شاب نقاء المنبع الإسلامى بشوائب منها ما كان نافعا ومنها ما كان ضارا فأصاب التصورات الإسلامية والواقع الإسلامى بتشوهات أو غبش تفاوتت آثاره فى الخطر والتأثير . .

ولقد تزامل مع هذا الوافد ، الذى أتت به الفتوحات ومواريث أمم البلاد المفتوحة ، ثمرات القرون التى تتوالى ، والتى تأتى فى صورة بدع ومستحدثات تطرأ على العقائد والشرائع ، إن بالزيادة أو الانتقاص أو التحريف والتشويه . .

فلما جاء الحين الذى تراكمت فيه هذه الآثار . . وغيرها - فدخلت بعصر الازدهار للحضارة الإسلامية منعطف التراجع والجمود والفقر فى الإبداع ، تصادف أن كانت السيادة على «الدولة» فى ذلك المنعطف للعسكر الترك المماليك ، فساد فى حضارتنا ، لعدة قرون ما تواجهه الحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة من تحدى : «التخلف الموروث» ! . .

ثم حدث أن عاجلت الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة بواكير يقظة الاجتهاد الإسلامى التى نهضت لتخليص الأمة من هذا «التخلف الموروث» . . عاجلت الغزوة الاستعمارية بواكير يقظة الاجتهاد الإسلامى فأجهضتها ، ثم أضافت إلى شوائب «التخلف الموروث» شوائب «التغريب» ، التى رعتها سلطات الاحتلال ومؤسساته الفكرية والتعليمية والإعلامية . . فأضيف إلى تحدى «التخلف الموروث» تحدى «الاستلاب الحضارى» الذى يمسخ وينسخ ويشوه الهوية الإسلامية لفكر الأمة ولواقعها . . فكانت «البلوى» التى استنفرت حدتها ، عندما أوشكت على العموم ، ضمير الأمة وعقلها ووجدانها ، فردت عليها ذلك الرد الإيجابى الذى تمثل فى الحركات الإسلامية التى عرفتها ديار الإسلام منذ جمال الدين الأفغانى و(العروة الوثقى) وحتى الحركات التى نعنيها بالحديث فى هذه الصفحات . . .

إذن . . . فالحركات الإسلامية المعاصرة لا تنفرد وحدها بالعيش والحركة فى واقع ديار الإسلام . . إنما معها «آخر» يزاحمها فى الفكر والواقع الذى تعيش فيه . . وهنا نلمح خللا فى علاقة هذه الحركات الإسلامية بهذا «الآخر» . .

وعلى سبيل المثال . . . فإن هيمنة النموذج الحضارى الغربى على مؤسسات الفكر والتعليم والإعلام فى بلاد الإسلام ، قد صنع من أبناء هذه الأمة تيارا متغربا ، يتبنى مذاهب الغرب الوضعية ، ويدعو إلى علمانيتها . . وهذا «الآخر - العلمانى» ليس كل من فيه «عميلا» يسعى إلى إلحاق ديار الإسلام بالمركز

الغربى ، ويعادى نهضة الأمة وقوتها واستقلالها . . . فإلى جانب قلة من «العملاء» . . وإلى جانب قلة من «العلمانيين الثوريين» ، الذين تطمح علمانيتهم إلى نقض الدين والتدين ، وليس فقط إلى فصل الدين عن الدولة - والخلاف مع هؤلاء هو خلاف فى «الأصول» وليس خلافا فى «الفروع» - إلى جانب هذه القلة من «العملاء» ومن الزنادقة وأعداء الدين والتدين ، هناك - فى صفوف «الآخر - العلمانى» - كثرة سلكت سبيل التغرب والعلمانية لأسباب كثيرة ، منها طبيعة النشأة والتكوين الفكرى . . ومنها رجحان كفة «الخيار الغربى» عندما قارنوه بصورة «الخيار الإسلامى» على النحو الذى كان سائدا فى عصر التراجع والجمود - ولقد حسبوه هو الإسلام ، وظنوا أنه «الخيار الإسلامى» الوحيد - . . ومنها ذلك «الاجتهاد الخاطئ» الذى اعتقد أصحابه أن استعارة «النموذج الغربى» هى السلاح لمواجهة الغرب ، ولاستخلاص الوطن والأمة من استعماره . . .

وهذا القطاع من العلمانيين المسلمين هو الذى نقول إن علاقة الحركات الإسلامية المعاصرة به يسودها «خلل» كبير وأكيد . .

إن الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية قد أسقطت هذا القطاع من العلمانيين من حساب «الإمكانات» التى عليها أن تتعامل معها وأن تجتذبها إلى صفوفها . . أو على الأقل الانتقال بهم من صفوف «الأعداء» إلى صفوف «الأصدقاء - المتفهمين» أو «المحايدين» ! . .

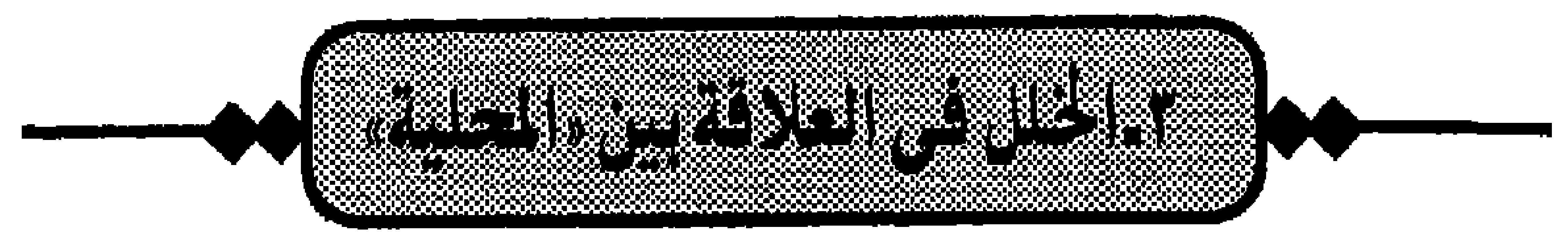
لقد وقفت أغلب الحركات الإسلامية من هؤلاء العلمانيين - القابضين على أغلب وسائل التأثير والتوجيه فى الواقع الإسلامى موقف

الجهل بدوافعهم إلى العلمانية ، والتجاهل للإضافات الهامة التى يمكن أن يضيفوها إلى المشروع الإسلامى إن هم فهموا حقيقته . . فكان الانصراف عن الجهد المطلوب لاكتشاف نقاط الاتفاق ، وتنميتها ، محاصرة وتقليصا لنقاط الخلاف مع هذا «الآخر - العلمانى» .

كذلك ، يسود هذا «الخلل» فى علاقة «الذات - الفكرية» لدى الحركات الإسلامية بـ «الذات - الفكرية» للآخرين . . فعلاقة الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية بنظريات الآخرين ومناهجهم فى البحث والتفكير ، يسودها خلل الجهل أو التجاهل ، أو هما معا ! . . الأمر الذى يقف بهذه الحركات عند إطار وحدود «النقيض» و «رد الفعل» للحركات العلمانية ونظرياتها ومناهجها ، على نحو يتسم بالعموم والإطلاق . . تجهل ما يعلمون ، وتعلم ما يجهلون ، الأمر الذى يكرس ويؤبد هذا الانقسام الذى فرض على عقل الأمة وطاقاتها ، والذى يجعل بأسها شديدا بين أبنائها ، كما يهدد طاقاتها بالتبدد عندما يقف الفريقان عند وضع «شد الحبل» هذا ، دون غالب أو مغلوب ! . .

والأمر الذى لاشك فيه هو وجوب خروج الحركات الإسلامية من وضع «رد الفعل» للحركات العلمانية ، إلى وضع «البديل» الذى لا يقنع بالجهل والتجاهل لما لدى «الآخر» ، وإنما يسعى جاهدا لامتلاك «الوعى» بما لدى الآخر ، سواء منه ما يدخل فى إطار «النافع» الذى يستلهم ، أو «الضار» الذى يعين الإدراك له على فعالية التحصن من الوقوع فى حبائله ، وعلى جدوى النقد له ، لننقذ من آثاره الآخرين ! . .

كذلك تشهد علاقة الحركات الإسلامية بـ «الآخر» ، الخارج عن عضوية تنظيماتها خللا متفاوت الدرجات لدى هذه الحركات . . فمنها المغالى الذى يرى فى جماعته كل جماعة المسلمين ! . . ومنها المعتدل الذى يرى جماعته جماعة من المسلمين ، لكنه ينظر بالتجاهل أو التعالى أو الإهمال إلى كل من هو خارج دائرة «التنظيم» ! . .



٣ـ الخلل فى العلاقة بين «المحلية» وبين «العالمية» الإسلامية

إن الكثير من «تصورات الفكر» لدى الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة قد خلطت بين وحدة الإسلام الدين ، كوضع إلهى فى العقيدة والشريعة ، لم ولن يعرف التعددية فى الأصول والقواعد والمبادئ والأركان . . خلطت بين هذا الإسلام الواحد ، وبين «تصورات الفكر الإسلامى» التى من الممكن ، بل ومن الواجب والطبيعى أن تتعدد لتعدد المكونات والمنطلقات التى تسهم - مع الإسلام الواحد - فى صياغتها وتحديد معالمها . .

فإلى جانب وحدة الإسلام ، التى تثمر وحدة الفكر الإسلامى فى العقيدة وفى الشريعة . . هناك «الفكر الإسلامى» الذى يدخل «الواقع الإسلامى» عاملا من عوامل إفرازه وتحديد معالمه ، وهو الفكر الذى تتميز تصوراته بتميز الواقع فى ديار الإسلام ، عبر الزمان والمكان . .

لكن الخلل الذى أصاب ويصيب تصورات كثير من الحركات الإسلامية للعلاقة بين هذين المستويين من مستويات النسق الفكرى الإسلامى ، قد جعلت وتجعل الكثير من هذه الحركات ، فى «الفكر» تنحو نحو «تجريد نظرى» يتصور - تبعا لوحدة دين الإسلام - عالم الإسلام وواقع دياره نسقا واحدا متسقا لا يعرف الفوارق فى مستويات التطور ولا الاختلاف فى الأعراف والعادات والمذاهب والتصورات . . .

أما فى «الممارسة والتطبيق» ، فإن هذه الحركات تستغرق - إلى حد الغرق - فى «المحلية» ، التى تجعلها منكفئة على واقعها المحلى دون سواه ، حتى لتقف بأغلب اهتماماتها عند خصوصيات الإقليم الضيق الذى تعيش فيه ، فتعيد إلى عالمنا المتشابك صورة «القبائل» التى لا ترى أبعد من عالم مضارب الخيام التى تعيش فيها ! . .

وإذا كانت الحركات الإسلامية - وهى كذلك - : «طلائع أمة» ، وليست «طلائع طبقة» ، وإذا كانت هذه الأمة تعيش فى وطن يمتد من «غانه» إلى «فرغانه» مشتملا على تمايزات فى الواقع والمواريث ومستويات التطور والمصالح والاهتمامات والطموحات والمشكلات والأعراف والعادات وطرائق العيش وأسبابه ، بل والمناخات . . إلخ . . إلخ . . فمن الطبيعى أن تكون هناك أهمية لعلاقة تبرأ من الخلل ، وتقيم التوازن بين ما هو «واحد» وما هو «متعدد» فى النسق الفكرى للإسلام والمسلمين . وبذلك تتزامل «المحلية» و «العالمية - الملية - الإسلامية» دونما خلل أو إهمال لأى منهما لحساب الآخر أو على حسابه ، كما هو حادث الآن عند الكثير من هذه الحركات . .

***

٤ـ الخلل فى علاقة «التاريخ» بـ«العصر»..
وفى علاقة «الأموات» بـ«الأحياء»..
وفى علاقة «الموروث» بـ«الإبداع»:

كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة ، تسيطر على نظرتها إلى التطور التاريخى فكرة «التراجع التاريخى» ، ونظرة التدنى والهبوط لخط بيان التطور والتقدم عبر هذا التاريخ . .

وبعض الباحثين يقف فى تعليل هذه النظرة الخاطئة إلى خط سير التقدم عبر التاريخ ، لدى هذه الحركات عند التفسير الذى تقدمه هذه الحركات للحديث النبوى الشريف الذى قال فيه الرسول ﷺ : «خير أمتى القرن - (أى الجيل) - الذى أنا فيه» - رواه مسلم وأبو داود والإمام أحمد - . .

ورغم صدق هذا التعليل ، إلا أن هذا السبب ليس الوحيد فى تكوين نظرة هذه الحركات التى تؤمن بتراجع التقدم والخيرية عبر التاريخ وبمرور قرونه . .

فمع خطأ هذه الحركات فى تفسير معنى هذا الحديث الشريف ، تقف وتتزامل أسباب أخرى ، منها المقارنة التى تجريها هذه الحركات بين حال الأمة اليوم ، وبين حالها فى عصر صدر الإسلام ، وهى مقارنة توهم بصدق هذه النظرة التى تؤمن بتراجع الخيرية والتقدم بمرور الزمن وتقادم التاريخ . .

وفى اعتقادى أن مراجعة هذه النظرة ، بكشف الأخطاء القائمة فى أسبابها ومنطلقاتها ، هو الكفيل بتصحيح الخلل السائد فى فكر الكثير من الحركات الإسلامية ، التى تعيش فى الماضى دون الحاضر ، أو أكثر منه . . والتى تستفتى «الأموات» فى كل شئون «الأحياء» ، مهملة التمييز فى القضايا الفكرية بين «الثوابت» وبين «المتغيرات» ، والتى تقدس «الموروث» على النحو الذى يقلل ، إلى حد الازدراء ، من شأن «الإبداع» ! . . بل والذى يخلط بين «البدعة فى الدين» وبين «الإبداع فى الحضارة» ، فيرفضهما معا !! . . إن هذه المراجعة ضرورية لتصحيح هذا الخلل الملحوظ والسائد لدى قطاعات كبيرة فى كثير من هذه الحركات . .

فبالنسبة لتدنى المستوى الحضارى للأمة الإسلامية اليوم عن نظيره فى عصر ازدهارها الحضارى ـ وهو أمر غير منكور – فإنه تدنى قد نبع وارتبط بتخلف شروط النهضة والازدهار الحضارى ، أى أنه عارض يزول بزوال أسباب التخلف ، وليس «قدرا تاريخيا» ولا «حتمية» من حتميات توالى القرون . .

أما عن الحديث البنوى الذى يقطع بأن خير أجيال الأمة هو جيل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهذه الحقيقة ، التى تحدث عنها هذا الحديث تحتاج إلى عرض وإلى تفسير ، قد يفضيان بنا إلى فهم آخر غير الذى فهمته منه هذه الحركات المؤمنة بتراجع الخيرية والتقدم بمرور التاريخ . .

وفى اعتقادى أن هذا الحديث النبوى لا يستأثر بالخيرية «المطلقة» لجيل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإنما هو يتحدث

عن خيرية «التأسيس لقواعد النموذج الإسلامى» ، . . وهى خيرية للثوابت والقواعد ، لا تنفى خيرية الفروع والأبنية التى يقيمها الخلف على هذه القواعد والأسس ، مع بقاء خيرية الأسس متميزة ، باعتبارها هى التى تمنح الفروع والمستجدات الروح والصبغة التى ميزت الأسس ، فكأنما خيرية الجديد - وهى غير منفية - مستمدة من خيرية الأساس ! . .

ويشهد لهذا التفسير الذى نقدمه لهذا الحديث النبوى ، مانراه من شهادات أخرى تزكيه وتدعمه ، عندما تقول : إن النظرة «التقدمية» لخط سير التقدم عبر التاريخ - وليست النظرة «التراجعية» - هى المعبرة عن حقيقة موقف الإسلام فى هذا المقام . .

فنظرة الإسلام إلى خط سير التطور الإنسانى ، منذ آدم إلى محمد - وعبر رسالات الرسل ونبوات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام ، تؤكد النظرة المتقدمة والمتصاعدة لخط سير الخيرية والتقدم عبر التاريخ . . فالإنسانية قد بلغت برسالة محمد ﷺ سن الرشد ، بعد أن كانت خرافا ضالة فى فترات سبقت ذلك التاريخ . . وموقف الإسلام المتميز من أدلة «العقل» و «الكون» شاهد على هذا الارتقاء الإنسانى بمرور التاريخ . . بل إن ختم الرسالات السماوية برسالة المصطفى ﷺ والاعتماد فى التجديد الدينى وتطوير القانون الإسلامى على الاجتهاد الإنسانى هو أصدق الأدلة على أن هذه النظرة هى النظرة الإسلامية الحقة فى هذا الموضوع . .

ثم . . إن الأبنية الحضارية التى تزهو بها أمة الإسلام ، وإن قامت على الأسس التى شهدها عصر البعثة ، إلا أنها قد جاءت تالية لجيل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فعلوم الدين والدنيا التى مثلت جماع إبداع الإنسان المسلم ، متأثرا بالوحى ومسترشدا بمنهج النبوة ، قد تبلورت جميعها بعد عصر صدر الإسلام . . . وكذلك الحال مع الفتوحات الإسلامية التى نهض بها المسلمون . . . ومع تحقيق وتجسيد عالمية الإسلام ودعوته بنشر الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها . . . كل ذلك خير وخيرية ارتبطا بتقدم وبتوالى قرون التاريخ . .

وأيضا . . أليس رسول الله ﷺ هو القائل – أيضا – فى معرض الحديث عن تلقى فكره النبوى : «رب مُبَلَّغ أوعى من سامع» ؟ – رواه البخارى ومسلم وابن ماجة والترمذى والدارمى والإمام أحمد – . . وهو حديث لا يحصر الخيرية فى الصحابة والشهود . .

وأخيرا . . فمن من الحركات الإسلامية ينكر أن حال الصحوة الإسلامية اليوم خير منه فى عقد الخمسينيات من هذا القرن العشرين ؟ . . وأن وضعها منذ ثلاثينيات هذا القرن هو خير منه يوم عموم بلوى الاحتواء الاستعمارى وسيادة العلمانية والتغريب حتى لدى الأحزاب التى تقدمت لمقاومة الاستعمار ، فى الحقبة التى شهدت زوال رمز الخلافة سنة ١٩٢٤م ؟! . .

إذن . . فالخيرية التى تحدث عنها الحديث النبوى هى خيرية الجيل المؤسس . . خيرية القواعد والأسس والسوابق الدستورية ، وفضلها لا ينكر حتى على الجديد الذى يرفعه الخلف فوق ما صنع

الجيل المؤسس قواعد وأركانا . . كما أن خيرية الجديد ، بل وتعاظمها ، لا تناقض بينها وبين خيرية الأساس والمؤسسين . . وإلا فمن الذى ينكر علو مقام الخير فيما انجز عمر بن عبد العزيز من العدل الاجتماعى - وهو قد أنجزه بعد أن ساد الظلم والجور وعمت الأثرة ـ علو مقام الخير فى هذا الإنجاز على نظيره فى عهد الراشد الثانى العادل عمر بن الخطاب ، والذى كان عدله استمرارا لعدل النبى والصديق ، وفى مناخ مواتى ، يعين عليه الصحابة الأبرار ؟! . .

إن التعارض غير قائم . . وكل خير يقدر بقدره ، بصرف النظر عن الظرف التاريخى الذى أنجز فيه . . ومن ثم فإن جهدا فكريا يجب أن يبذل من قبل الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة لتصحيح هذا الخلل السائد فى نظرتها إلى علاقة خط بيان التقدم بمرور الزمن وتوالى قرون التاريخ ، وهو الخلل الذى جعلها ويجعلها تعيش فى «الماضى» مديرة ظهرها ، فى أحيان كثيرة «للعصر» ، وتُحكِّم «الأموات» فى «الأحياء» ، وتميل بالكفة لحساب «الموروث» على حساب «الإبداع» ! . .

***

٥- الخلل فى علاقة «الحركة» بـ«الفكر»

الحركات الإسلامية المعاصرة هى ، فى جملتها ، إنما تمثل فصائل الصورة المعاصرة لحركة وتيار ودعوة الإحياء واليقظة والتجديد ، التى عرفها الشرق الإسلامى منذ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦هـ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م) والتى خطت خطوات نوعية فى الوعى والتأثير والعموم والعقلانية منذ تيار «الجامعة الإسلامية» الذى قاده الرائد جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) . ولذلك ، فلقد تراوحت وتفاوتت مواقف هذه الحركات من «الفكر - المجدد» و «العقلانية - المجتهدة» ، فمال بعضها إلى خصوصية الوهابية ، وزادت لدى بعضها جرعة العقلانية على نحو مما كان عليه الأمر فى تيار جمال الدين . . ولقد لعبت البيئة ، حضرا أو بادية ، والموروث المذهبى ، ونهضت طبيعة التحديات بعملها فى تحديد موقع الحركة من «النصوصية» ومن «العقلانية» إلى حد كبير . .

لكننا نلحظ - ضمن مظاهر «الخلل» الذى تعانى منه أغلب هذه الحركات المعاصرة - تزايد جمود النصوصيين ، وتدنى جرعة العقلانية لدى العقلانيين ، وخاصة فى العقود الأخيرة من هذا القرن العشرين . . وفى اعتقادى أن عوامل عديدة تقف أمام ميل ظاهر «الفكر - العقلانى» إلى الذبول فى هذه الحركات ، بوجه

عام . . فالعقلانية قد تألقت فى حركة الإحياء الإسلامى يوم أن كانت حركة «صفوة . . ونخبة» على عهد جمال الدين الأفغانى . . فلما استدعت ضرورات مواجهة التغريب والعلمانية والاستلاب الحضارى استنفار الجماهير والعامة لتنخرط فى موكب الداعين إلى شمول الإسلام للدولة والواقع وسائر مناحى الحياة وذلك منذ مرحلة الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) وجماعة الإخوان المسلمين ، هبطت هذه العقلانية فى هذه الحركة لتتناسب مع مستوى العامة والجماهير . . كذلك ، كان فى اشتداد خطر التغريب والاستلاب الحضارى ، وفى تبنى الأحزاب القومية للنموذج الحضارى الغربى تعاظما للخطر على الهوية الإسلامية ، استدعى من هذه الحركات الإسلامية أن تقدم سبل ووسائل الجمع والتأليف على أسباب الجدل والافتراق ، فكانت «الحلول الوسط» ، و «الصياغات الفضفاضة» ، التى يتجنب أصحابها ، عادة ، التفكير العقلانى الذى يثير ، بجرأته ، الكثير من المشكلات ! . .

كما كان لتزايد التفسخ الاجتماعى والأخلاقى والتشوه المعرفى ، والتى حدثت بفعل هيمنة النموذج الغربى على قطاعات واسعة من مصادر ومراكز التوجيه الفكرى والثقافى والتعليمى والإعلامى . . كان لتزايد هذا التفسخ دور «الفعل» الذى جعل بعض هذه الحركات الإسلامية تنفر من كل ما له شبه أو صلة بالحضارة الغربية - والتى تعلى من مقام العقل إلى حد المغالاة - فلم تميز هذه الحركات بين «العقلانية الإسلامية» ، التى وعت

«النقل» بـ «العقل» ، كما حكمت «العقل» بـ «النقل» فى المواطن والعوالم التى لا تستقل بإدراكها العقول . . لم تميز بين هذه «العقلانية الإسلامية» وبين عقلانية الغرب ، المتحررة من ضوابط «النقل» الدينى ، منذ جاهليتها اليونانية وحتى نهضتها الأوربية فى العصر الحديث . . فكان أن نفرت ، إلى حد كبير ، من العقل والعقلانية بإطلاق وتعميم ! . .

ولقد انعكس هذه الموقف من العقل والعقلانية - والذى تراوح بين الإهمال أو النفور أو العداء أو التحجيم - انعكس فى صور كثيرة ، يهمنا أن نشير هنا إلى انعكاسها فى صورة تقلص مساحة «الفكر» إذا ما قيس بـ «الحركة» والنشاط العملى . . وصغر حجم الجهد المبذول فى «الاجتهاد والتجديد» إذا ما قيس بحجم الجهد المبذول فى «المواعظ» ذات الأساليب الشعرية والخطابية . . وتوارى مؤسسات الفكر وأعلامه ، من كثير من هذه الحركات ، لحساب «الدعاة» و «الحركيين» . . . بل وضيق الكثير من الأوعية التنظيمية للكثير من هذه الحركات بجرأة الفكر وريادات المفكرين المجددين ، حتى لقد رأينا ، فى العقود الأخيرة ، أن كوكبة من المفكرين المجددين المجتهدين لم يستطيعوا أن تثبت أقدامهم فى هذا الميدان فيثبتوا وجودهم فيه إلا بعد أن تخلصوا من «قيود» رقابة الأوعية التنظيمية لهذه الحركات ! . .

ولقد زاد من وضوح هذا الخلل ، وضاعف من تأثيراته عجز الكثير من هذه الحركات ، حتى الآن ، عن إقامة العلائق والخيوط التى تصنع وتقنن للتمايز بين «مؤسسات الفكر وأعلامه» ، وبين

«تنظيمات الحركة وجمهورها» ، على النحو الذى يتيح لأهل «الفكر» المناخ المهيأ لجرأة التجديد والإبداع ، كما يتيح لأهل «الحركة» إمكانات الاستفادة الكاملة من ثمرات هذا التجديد والإبداع . .

نعم . . لقد وازنت بعض الحركات الإسلامية بين «الحركة» وبين «الفكر» فبرئت من هذا الخلل . . لكننى أخشى أن يكون سبب نجاحها هذا هو تصادف أن زمام قيادتها قد كان بيد مفكر مبدع ومجدد ، أكثر من أن يكون السبب هو الاهتداء إلى القواعد المنظمة للعلاقة الصحية بين «الحركة» وأهلها وبين «الفكر» وصناعه ! . . . لذلك أراه خللا قائما يستدعى بذل الجهد لعلاجه ، ولاقتلاع الآثار القاتلة التى يفرخها بقاؤه فى هذه الحركات .

***

٦ـ الخلل فى علاقة «التربية الروحية»
بـ «التربية السياسية»

لأن هذه الحركات الإسلامية المعاصرة تؤمن بشمولية الإسلام لكل مناحى حياة الإنسان ، فى البدء . . والمسيرة . . والمصير . . ولأنها تدرك أن النهضة التى تتغاياها إنما تحتاج إلى إعادة صياغة هذا الإنسان صياغة إسلامية تنقذه من التشوه المعرفى والسلوكى اللذين أصاباه تحت هيمنة التغريب . . كانت تلك السنة الحسنة التى استنتها هذه الحركات عندما اهتمت بالتربية الروحية لهذا الإنسان . . فبهذه التربية الروحية تصاغ الكتائب المعدة الإعداد المناسب لما أمام أصحابها من معارك ومشكلات وتحديات . .

لكننى أعتقد أن قصورا وتقصيرا قد حدثا فى «التربية السياسية» لأغلب «كوادر» هذه الحركات . . إما بدعوى تأجيل ذلك لحين الحاجة إليه يوم أن تكون الدولة والسلطة قاب قوسين أو أدنى من قبضة هذه الحركات - وإما بسبب فقر هذه الحركات فى الفكر وقلة بضاعتها من صناعته وصناعه . . وإما لانغلاق هذه الحركات عن الفكر السياسى ونظرياته وخبراته لدى العلمانية والعلمانيين - وهو مزدهر وغنى فى هذا الميدان - . . وإما لهذه الأسباب مجتمعة - مع غيرها مما قد يكون أقل أهمية منها - . .

لكن ثمرة هذا الخلل فى علاقة «التربية الروحية» بـ «التربية

السياسية» قد ظهرت للعيان ، فقعدت بكثير من «كوادر» هذه الحركات عن بلوغ مؤهلات وإمكانات البراعة فى السياسة وميادينها . .

وإذا كان طراز «الساسة» و «السياسة» المجردين من قيم الدين وضوابطه الأخلاقية ، هو مما لا يرضاه الإسلام ، ولا يصح أن يوجد فى الحركات الإسلامية . . فإن صورة التدين الذى يفقد صاحبه الكياسة والمهارة والحذق والدهاء ، هى صورة غريبة عن التدين المطلوب لكوادر الحركات الإسلامية . . فالتدين الذى لا تصاحبه تربية سياسية وحذق لنظرياتها ومعرفة بتياراتها ودروبها وفنونها ، قد يثمر غفلة ، إن ناسبت بعض طيبى القلب فإنها لا تناسب الذين يتحملون مسئوليات مصائر الأمم فى هذه الميادين . . وقديما حبذت كل تيارات الفكر السنية إمامة وخلافة المفضول دينيا إذا كان أفضل فى حذق شئون الدنيا وأبرع فى الإمكانات التى تعينه على أداء رسالة الخلافة والإمامة ، وأقدر على مواجهة ما يفرضه عصره على أمته من تحديات . . إن رهبان الليل ، فى الحركات الإسلامية ، لابد وأن يكونوا ـ بحق ـ فرسان النهار ، وأن يكونوا الساسة المهرة أيضا ! . .

وإذا كان طراز السياسة الميكيافيلية - كما عرفته وارتضته الحضارة الغربية - طراز أن السياسة هى فن الممكن من الواقع ، بصرف النظر عن الصلاح الدينى والأخلاقيات الدينية - إذا كان هذا الطراز مرفوضا إسلاميا . . فإن تعريف الإمام ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٠م) للسياسة الإسلامية باعتبارها : «الأعمال التى يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد» . . هو تعريف يتطلب فى الساسة أن يجمعوا إلى فقه

الواقع ، والدربة على فنون القيادة ، والخبرة بالتعامل مع التطورات والفرقاء الآخرين ، أن يجمعوا إلى ذلك - بالتربية الروحية - أخلاقيات الإسلام . . .

والذين يدرسون حركة الإحياء الإسلامي ، كما تمثلت في مدرسة «الجامعة الإسلامية» وجمعية «العروة الوثقى» ، يرون كيف تخلق أعلامها بخلق الإسلام ، حتى لقد استعانوا بلون من أساليب الصوفية وقدر من مجاهداتهم في تهذيب النفوس . . والذين يتأملون الفكر السياسي في مقالات جريدة «العروة الوثقى» ، التي عبرت عن فكر هذا التيار يرون ذلك المستوى الراقي والعميق والحصيف في فهم السياسة والدراية بمسالكها ومنعرجاتها ودروبها ، محلية كانت تلك السياسة أم دولية ، في تلك الحقبة التي تعقدت فيها شئون تلك السياسة بتزايد مطامع المد الاستعماري الغربي وتعدد أطرافه ، وتنامي التناقضات والمصادمات والمؤامرات بين هذه الأطراف . . .

إنه نموذج يستحق الدراسة من الحركات الإسلامية المعاصرة ؛ لتري وتحدد السبل الكافلة لصناعة رجل السياسة المسلم ، ذلك الذي لا يكون التدين لديه مساويا أو نقيضا لطيبة الغفلة . . ولا تكون السياسة لديه ميكيافيلية مجردة من أخلاقيات الإسلام . . . وحتى نتجاوز ذلك الانقسام البائس والشاذ الذي أشار إليه أبو العلاء المعري عندما قال :

الناس صنفان : ذو عقل بلا دين ، وآخر : ديِّنٌ لا عقل له ؟! . .

***

٧ـ الخلل فى علاقة «الطاعة» بـ «الحرية»

إن الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة قد بالغت فى ترويض أعضائها على طاعة القيادات، أكثر مما دربتهم على محاسبة ونقد وتقويم هذه القيادات . . وليس يكفى أن يقال إنها طاعة فى غير معصية، ذلك أن الخلل فى علاقة «الطاعة» بـ «الحرية»، على النحو الذى لا ينمى فى الأعضاء ملكات النقد والفحص وشجاعة الاعتراض، عند توفر دواعيه، إن هذا النمط فى تربية أعضاء هذه الحركات هو، بالقطع، معصية من معاصى التربية فى هذه الحركات، لأنها تثمر - ولقد أثمرت - وحدانية الرأى، رأى المرشد والأمير والإمام . . بل وأثمرت العديد من ألوان التفكك والقصور والتشرذم التى أصابت العديد من هذه الحركات عندما غاب المرشد فغاب عنها الرشد، لافتقارها إلى قيادات مدربة وحكيمة وحصيفة فى صفوفها التى تقف وراء المرشد والأمير والإمام - الصفوف الثانية والمتوسطة والقاعدية - . .

إن هذا الخلل الذى أصاب ويصيب الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة هو آفة شرقية قديمة، جعلت العامة تعلق كل الآمال تضع كل الأحمال على عاتق «القطب» و «الوتد»، الذى يصبح هو المفكر الأوحد والزعيم الملهم والقائد الوحيد . . وليس

غير تراث الإسلام فى الشورى ، وتراث المدرسة النبوية فى تربية الرجال وصناعة القادة منبعا إسلاميا تستلهمه الحركات الإسلامية لعلاج هذا الخلل ، وللبرء من هذا المرض الفتاك . .

لقد كان المعصوم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أكثر الناس مشاورة لأصحابه . . وأول الناس التزاما بالشورى . . بل إنه هو القائل لأبى بكر وعمر : «لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما» ! - رواه الإمام أحمد - . . وهو الذى سن لأمته سنة الشورى فى كل شئون الدولة وولاياتها ، حتى وإن كانت قيادتها بيد المعصوم ، وذلك عندما قال : «لو كنت مؤمرا أحد دون مشورة المؤمنين لأمَّرْتُ ابن أم عبد . .» - (عبد الله بن مسعود) - رواه الترمذى وابن ماجة والإمام أحمد - . .

إن تراث الإسلام ، وتراث مدرسة النبوة فى صناعة الرجال وتدريب القادة ، معين لا ينضب ، وهو الكافل بمعالجة هذا الخلل القاتل والمتفشى فى الحركات الإسلامية المعاصرة . .

أما أن تظل هذه الحركات تروض أعضاءها على «الطاعة» دون «الحرية» بدعوى أن بيعة هؤلاء الأعضاء للمرشد والأمير والإمام إنما تقتضى ذلك ، انطلاقا من حديثه ﷺ الذى يقول فيه : «من أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى» - رواه مسلم ـ . . أو من حديثه الذى يقول فيه : «من رأى من أميره شيئا يكرهه ، فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبرا ، فمات ، فميتته جاهلية» - رواه مسلم - .

أما أن تظل هذه الحركات تقتل فى أعضائها ملكات الحرية

والنقد والإبداع والقيادة ، استنادا إلى مثل هذه الأحاديث ، فإنه هو الآخر ، لون من الخلل فى تنزيل النصوص فى غير منازلها . . . فالاستدلال بمثل هذه الأحاديث على طاعة أمراء الحركات الإسلامية أو أمراء الدول الإسلامية هو قسر للنصوص على أن تشهد فيما لم تنشأ للشهادة عليه وفيه . . فأمراء الرسول ﷺ الذين طلب لهم هذه الطاعة ، كانوا هم أمراء الجند وقادة الحرب والقتال ، وغير متصور عندما يحتدم القتال ويحمى وطيسه أن تخضع أوامر أمراء القتال للشورى والأخذ والرد وعد أصوات المطيعين والمعترضين ؟! . . هؤلاء هم الأمراء الذين ألحت الأحاديث على طاعتهم، حتى وإن رأينا منهم ، كجنود ، ما نكره . . وتلك هى مواطن هذه الطاعة التى وجبت لهؤلاء الأمراء . . . أما أمراء وقادة الدول والتنظيمات ، فإن سنة الإسلام وسنة نبيه فى الشورى وتربية القيادات هى المنبع والأسوة لمن شاء الورود والاقتداء ! . .

إن هذا الخلل ، الذى يغلب «الطاعة» على «الحرية» ، قد غدا ، فى الحركات الإسلامية المعاصرة ، السبيل إلى فقرها الشديد فى القيادات المشاركة لأمرائها ومرشديها ، والمؤهلة لملء الفراغ الناشئ عند غيبة هؤلاء الأمراء والمرشدين . . كما غدا السبيل الذى يدفع رافضيه والمتمردين عليه إلى الانشقاق على هذه الحركات . . الأمر الذى أشاع ظاهرة الانقسام والتشرذم فى كثير من هذه الحركات . .

***

تلك بعض من أهم مظاهر «الخلل» فى الحركات الإسلامية المعاصرة ، أشرت إلى معالمها ونبهت على آثارها ، وفاء – كما

أسلفت – لفريضة النصح والتناصح التى فرضها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على المؤمنين ، فريضة «كفائية – اجتماعية» تبلغ فى الأهمية والتأكيد المستوى الذى يعلو على فروض «العين – الفردية» . . ذلك أن تخلف «فرض العين» إنما يقع إثمه على ذات الفرد دون سواه ، أما تخلف «الفرض – الكفائى – الاجتماعى» فإن إثمه واقع على الأمة جمعاء . . . وهذه الفروض الكفائية إنما تتعين على أهل الاختصاص حتى تؤدى وتؤتى مالها من ثمرات . .

فإذا أسهمت هذه الصفحات فى الوفاء بشىء من ذلك ، وإذا أسهمت فى ترشيد مستقبل الحركات الإسلامية المعاصرة ، ورفعت من كفاءة أدائها ، كان ذلك فضلا نحمد الله على التوفيق فيه . .

لقد علمنا رسول الله ﷺ أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم . . ولما كان خلاص هذه الأمة من التحديات ، التى تمسك بخناقها – تخلفا موروثا كانت هذه التحديات أو استلابا حضاريا وافدا – إن خلاصها ونهضتها معلقة آماله على رشاد الحركات الإسلامية المعاصرة ، وذلك حتى لا تصاب فصائلها بإحباط جديد ، كما حدث لسابقين سبقوهم على ذات الطريق . .

من هذا المنطلق . . ولهذه الغاية . . وبهذه الروح كانت الإشارات التى قدمتها إلى هذه المظاهر لمواطن الخلل فى عدد من هذه الحركات الإسلامية المعاصرة . .

والله أسأل أن ينفع بهذا النصح . . إنه سميع مجيب .

***

الفهرس


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشرى .
- د . حسن الشافعى
- د . محمد سليم العوا .
- ا . فهمى هويدى
- د . جمال الدين عطية .
- د . سيد دسوقى
- د . كمال الدين إمام .

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

